

# نعي الإلكتروني

## ميرا الكعبي

هل حقاً تموت؟  
بالأمس جاءني نبأ موتك كعاصفةٍ من وهج. لكن، حتى الصباح، كان هاتفك الجوّال ما يزال يرنّ ويرنّ ويرنّ، وأنا على الضفة الأخرى من خيوط القمر أصليّ كي ترد!

حتى لو كنت قد مُت، كما يزعمون، فلم لا تُجيب؟ تحدّثْ معي فقط لثوان، ثم ارحلْ كما تشاء، كي أقولَ لك كلمةً نسيْتُ أن أخبرك إيّاها بالأمس بالأمس، كنتُ أهاتفك «تصبح على خير»، ومازال صوتك بتلك الرعشة الخجول والبهجة الخافتة قلتُ لك «نسيْتُ أن أخبرك شيئاً». سألتني: «ما هو؟» فشاكستُ بخبثٍ أنثوي. «لن أخبرك الآن. في الغد أخبرك، حين نلتقي»

- وإن لم نلتق في الغد؟

ضحكتُ وقلتُ بعناد:

- سلنتقي بعد غد

لكنك أصررت بعنادٍ مضادٍ كعادتك

- وإذا لم نلتق بعد غد؟

- نلتقي بعد بعد غد

- وإذا لم...؟

- بل بعد بعد بعد بعد غد؟

واستمرّت سلسلة «بعد» طويلة، حتى اختفى صوتك كما جاء. ظننتُ أنّ هاتفك قد لفظ نفسه الأخير، أو تدكّر هاتفك الجوّال العتيق، وبريدك الإلكترونيّ المزدهم، ومكتبك المزدهم دوماً بالأوراق؟ لكن، في صباح اليوم التالي، فاجأني نبأ وفاتك كعاصفةٍ من وهج لم أصدّق، وكيف أصدّق وقد كنتُ معك! لذا هاتفك مراراً ومراراً، وظلّ الهاتف يرنّ. ولكنك لا ترد، ولا أحد يردّ سوى الصمت.



أيّها الصامت منذ الأزل، أيّها السرمدي، ما أصعب افتقارك!

لكنني لم أستسلم، ولجأت في حالة يأس إلى بريدك الإلكتروني، وبعثتُ إليك بالكثير من الرسائل، أمنيّ النفس بأن تصلك حيث أنت غير أنّ الرسائل كانت تعود إليّ وتخبرني بأن الصندوق مزدهم! أو يردّحُم صندوق بريدك الوارد، حتى وأنت هنالك! إنني. لعلك تسمع دقات قلبي النابضة مع دقات الهاتف الجوّال

هل يحدث أن نموت حقاً؟ ولماذا لا تموت معنا الهواتف والأرقام؟ والرسائل والبريد! لماذا يظلّ البريد معلقاً في فضاءٍ ما؟ ولماذا، حتى بعد موتك، تظلّ الفواتير التي تصل معنونةً باسمك؟

أوتُموّت؟ وكيف لا تموت كلُّ الأشياء المتصلة بك؟

مازلتُ أبعثُ إليك بالرسائل، كلَّ ليلة، أبعثُ لك برسالة «تصبح على خير»، وأتساءل إن كان يُمكن أن أتصلَ بك فقط لثوانٍ كي أخبركُ بكلمةٍ نسيتهُ البوحُ بها لك. نسيتهُ أن أخبركُ تلك الليلة أنني أحبُّكُ



مرَّ أسبوعُ الآن. هل تغيَّرَ عنوانكُ، يا ترى؟ هل لي أن أبعثُ لك بإيميلٍ؟ أو بوسـت كاردٍ؟ أو على أقلِّ تقديرِ sms حينما أشتاقُ إليك؟ كيف يحدُثُ أن تختفي هكذا، دون أن تُعلِّمني بموعدِ رحيلك، وعنوانك الجديد؟! لكنُّ إلى أين ترحلُ؟



مرَّ شهرٌ منذ أن زعموا موتك، لكنني مازلتُ كلُّما أفتحُ ذاكرةَ الهاتفِ الجوالِ، أجدُ كلَّ رسائلِكِ وعلى الرفِّ مازالتُ أشياءُك. نظَّارتُك، كتبُك، مستنداتُك، معجونُ الحلاقة، فرشاةُ الأسنان، رسائلُك، بقايا شخصياتك، وحكاياتُ كنتُ ترويها لي عنك قبل أن أنام، ووردةٌ أهديتها لي قبل عام



مرَّ شهران. صرتُ أعرفُ أنك متُّ لكنني مازلتُ كلُّما أأخذني الشوقُ إليك، أهاتفك، و«أماسيجك»، وأبعثُ إليك برسائلٍ إلكترونية كثيرة. أو من أنك في فضاءٍ ما، ونحن هنا في فضاءٍ إلكتروني. أترك اختفيتُ في صفحةٍ ما، نقلتُ كلَّ أحلامك ومضيتُ؟ ولكنُّ إلى أين؟



هذا المساء حبستُ أنفاسي. دقاتُ قلبي ارتعشتُ دقاتُ روعي ارتبكتُ أصبحتُ بلا جاذبية، حينما فاجأني اسمُك يضيء في هاتفي الجوالِ، تحت عبارة «يتصل بك!!» انتفضتُ بالبكاء. كيف تتصل وأنت ميت؟! استحالةٌ أن تتصل! لماذا تعود الآن كي تتصل بعد كلِّ هذا الوقت؟ أنت قد مُتَّ، أنت قد رحلتَ مستحيل أن تكون وصلتكُ رسائلي! لماذا تعود الآن؟ حبستُ أنفاسي. أمسكتُ الهاتفَ، وأجبتُ جاعني صوتُ غريب:

- ألو... ألو .

- نعم؟

- هل يمتُّ لك هذا الهاتفُ بصلة؟

- ....

- لقد أزعجتنا هذا الهاتفُ الذي كان يرنُّ باستمرارٍ في شارعنا اليومَ اكتشفنا السرَّ، حينما عثرنا عليه مصادفةً خلف إحدى العرباتِ كم أزعجتنا! تعالوا خذوه!

الدمام